مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 32، جانفي 2023، ص - ص: 419 – 426
الترقيم الدولي: 4350-1112 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2406-2588

الشيخ سعيد شريفي (عدون) وآراؤه الإصلاحية
Sheikh Said Sharifi (Addune) and his Reformist views

أ.د/ زكية منزل غرابة[1] **طالبة الدكتوراه أحلام بوساحة**
جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
مخبر الدراسات الدعوية والاتصالية
z.menzel@univ-emir.dz a.boussaha@univ-emir.dz

تاريخ الإرسال: 2022/10/13 **تاريخ القبول: 2022/12/15**

الملخص:
تتناول هذه الورقة البحثية التعريف بشخصية سعيد شريفي باعتباره واحدا من الشخصيات الإصلاحية بوادي ميزاب، وكذا آرائه الإصلاحية التي قدمها، وقد أكدت النتائج أن الرجل كان بحق قامة إصلاحية استطاع بما قدم من آراء إصلاحية أن يسهم في الدفع بحركة الإصلاح رفقه زعماء الإصلاح في وادي ميزاب.
الكلمات المفتاحية: الإصلاح؛ سعيد شريفي؛ تعليم الفتاة الجزائرية؛ وادي ميزاب؛ الأمراض الاجتماعية.

Abstract:
This research paper deals with the definition of the personality of Said Sharifi as one of the reformist personalities in the M'zab valley, as well as his reformist views, and the results confirmed that the man was rightly a reformist.
Key words: Reform; Said Sharifi; Algerian girl education; M'zab valley; Social disease.

مقدّمة:

تؤكد الأدبيات التي تناولت الحركة الإصلاحية في الجزائر أنها ظهرت نتيجة تضافر عوامل داخلية وخارجية كثيرة، ساهمت في ظهور نخبة من رجال الإصلاح الذين عملوا دون هوادة على إصلاح واقع المجتمع الجزائري على كل المستويات في محاولة لاستعادة وعي الأمة، وإيقاظ الشعب من غفوته التي عمل الاستعمار الفرنسي على إغراقه في الفكر الخرافي بمعية رجال الطرق، والزوايا التي انحرف بعضها عن المسار الصحيح في عملية الحفاظ على الهوية الوطنية.

ويعتبر سعيد بن بالحاج شريفي المعروف بالشيخ عدون من أبرز أقطاب الإصلاح في منطقة وادي ميزاب، رفقة كل من الشيخ بيوض، وأبي اليقظان، ولا نعدم الحق أن الرجل ترك بصمات واضحة في مجالات الإصلاح المختلفة مما كان له الأثر في نهضة المجتمع الميزابي، وبخاصة النهضة العلمية.

وانطلاقا من أهمية الرجل، ودوره في الإصلاح سنحاول في هذه الورقة البحثية استجلاء بعض المعطيات المتعلقة بهذه الشخصية الفذة، من خلال جملة من التساؤلات.

- من هو الشيخ سعيد شريفي المعروف بالشيخ عدون؟
- ما موقف الشيخ سعيد شريفي من التعليم؟
- ما موقف الشيخ سعيد شريفي من قضية تعليم الفتاة الجزائرية؟

[1]- المؤلف مرسل.

ـ ما موقف الشيخ سعيد شريفي من الآفات، والأمراض الاجتماعية؟

وقد تم الاعتماد على المنهجين الاستقرائي والتحليلي مع الاستعانة بالمنهج التاريخي عند الترجمة للرجل.

التعريف بالشيخ سعيد شريفي:

ولد سعيد بن بالحاج بن عدون بن الحاج عمر المعروف بالشيخ عدون في سنة 1319 هـ الموافق لـ 1902م بالقرارة، وعلى شاكلة أقرانه فقد زاول تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه في الكتاب على يد شيخه إسماعيل بن يحكوب.

توفي والده، وبيعت دار سكناه، وبقي تحت كفالة خاله أحمد بن الحاج سعيد جهلان فسافر إلى مدينة سريانة بولاية باتنة للكسب والعمل تحت طائلة الفقر، والعوز وعمره عشر سنوات[1].

في سنة 1912 سافر إلى مدينة سريانه بولاية باتنة للكسب، والعمل اضطرارا واحتياجا، وعمره عشر سنوات قضى سنوات 1912-1915 بمدينة سريانة أجيرا مخلصا في محل تجاري، وتلميذا نجيبا بالمدرسة الرسمية، ولكن لم تسعفه ظروف العمل في الدكان لإجراء الامتحانات فانقطع عن المدرسة[2].

وفي سنة 1915 عاد إلى القرارة إثر قيام الحرب العالمية الأولى، وانتظم بمدرسة الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم قرقر "الطرابلسي"، وختم الربع الأخير من القرآن الكريم، وفي ذات السنة عاد إلى مدينة سريانة ليتفرغ للعمل فقط دون التعلم فكان حاذقا لبيبا كسب ثقة زبائنه ومستخدميه.

أسهم بشكل أساسي ورئيس في تأسيس معهد الشّباب (معهد الحياة)، هو منشئ جمعيّة الشّباب التّابعة لأنشطة طلبة معهد الحياة، كان المشرف على كتابات طلبة معهد الشّباب وتوجيهها وتصحيحها، كان مدير معهد الحياة، ورئيس جمعيّة الحياة، ورئيس جمعيّة التّراث، ورئيس جمعيّة قدماء تلاميذ معهد الحياة، وشيخ حلقة عزّابة القرارة، ورئيس مجلس عمّي سعيد، مفتّش المدارس القرآنيّة لمنطقة وادي ميزاب، وما هو متّصل وتابع لها[3].

توفي الشيخ عدون شريفي في 2 نوفمبر2004م عن عمر ناهز 106 سنة، وقد خلّف العديد من الإنتاج الفكري أجمله أحد الباحثين في الآتي[4]:

- عشرات المقالات التي كان يرص بها جرائد الشيخ أبي اليقظان، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: "موقف الأمة من حركة الإصلاح بميزاب"، الأمة، ع55، 1935/12/17م. "موقف الأمة من حركة الإصلاح بميزاب"، الأمة، ع56، 1935/12/24م. "هل يجب أن يكون موقف المعارضين غير هذا؟"، الأمة، ع37، 1935/8/13م. "حول التعليم. هذا هو موسم التعليم فماذا أعددنا على الأبواب فماذا أعددنا له؟"، الأمة، ع90، 9/25 /1936م. و "موقف الأمة من حركة الإصلاح بميزاب"، الأمة، ع66، 1935/3/3م. "إلى الشباب الحي صرخة داوية يصرخ بها مثال الشباب فهل من مدكر، وهل من مجيب؟"، الأمة، ع82، 1936/7/21م[5].
- مئات الرسائل القيمة التي تعد وثائق تاريخية لحركة إصلاحية واجتماعية، وعلمية جاوزت ثمانين عاما.
- آلاف المتخرجين على يده ممن صاروا شموسا ينيرون درب الحياة في مختلف المجالات، وقد صاغهم على سننه، وغذاهم بفكره، وأشبعهم من إخلاصه داخل الوطن وخارجه. نذكر منهم مصطفى باجو، محمد سعيد شريفي، علي بن يحيى معمر، الشيخ الناصر المرموري، محمد علي دبوز، محمد صالح ناصر بوحجام الذي ذكر بعض خصال الشيخ عدون في قوله: "لقد عرفت بكل تواضع أستاذي الشيخ عدون وأنا طالب بالمعهد (معهد الحياة) ست سنوات، فما عرفت منه طوال هذه المدة إلا أنه المشجع لكل المبادرات الساعية إلى الرفع من مستوى معهد الحياة ماديا ومعنويا لا يتحجر على طريقة متبعة، ولا يجمد على مقرر معين، ولا يتصلب لرأيه"[6].

وزيادة عن هذا النتاج الزخم الذي كان للشيخ ضلع في تأسيسه وإنجاحه بمعية الشيخ بيوض، ساهم أيضا سنة 1940 في أول جولة لجمع التبرعات لصالح جمعية الحياة في شرق البلاد والعاصمة وضواحيها، ثم أصبحت جولة سنوية لنواحي الوطن لم ينقطع عنها إلى يوم وفاته.

كما عين أيضا عام 1948 مفتشا عاما للمدارس الخاصة بوادي ميزاب، ومدن التل التي أنشأتها جمعيات الإصلاح، وترأس أيضا مجلس عمي السعيد خلفا للشيخ الحاج محمد بابان وإلى يوم وفاته، وفي سنوات الثمانينات ترأس مجلس با عبد الرحمان الكرثي المختص بتدبير شؤون الأمة العامة في مجالات العمران والسياسة. وفي 1989 أسس جمعية التراث التي ترأسها إلى يوم وفاته[7].

إسهامات الشيخ سعيد شريفي الإصلاحية:

1- التعليم: أدرك رجال الإصلاح منذ الوهلة الأولى أن الخروج من الجهل المطبق على المجتمع الجزائري، ونشر الوعي بينهم إنما يتحقق عبر عمليتي التربية والتعليم، وقد تأكد للمستعمر الفرنسي أن السبيل للسيطرة على أرض الجزائر هو تجهيل الشعب الجزائري، وإغراقه في البدع، والخرافات، وقد تفطن رجال الإصلاح إلى السياسة الاستعمارية، فآمنوا بأهمية التربية والتعليم في إيقاظ الشعب من غفوته ،فوجهوا جهودهم الإصلاحية إلى هذا المجال باعتباره صمام الأمان الذي يحفظ للشعب الجزائري هويته.

وكما آمن رجال الإصلاح في الشمال بالدور المحوري الذي يلعبه التعليم في توعية الفرد، كذلك كان التصور ذاته لدى رجال الحركة الإصلاحية في الجنوب، وقد انتفض الشيخ عدون أسفا على ما آل إليه وضع التعليم في الجزائر خاصة من انصراف الناس عن دعم التعليم الحر بوادي ميزاب، وانشغالهم بالتجارة وغيرها و"أيه نفس تعرف للعلم قيمة تشاهد أبواب المدارس النظامية تتفتح، والتلاميذ تعج بهم الأزقة بأزيائهم المدرسية، وتتدفق بهم الشوارع... والمكاتب تستقبلهم بكتبها الجديدة، وبالأدوات المدرسية، والآباء مغتبطون بحال أبنائهم مبتهجون بحاضرهم ينظرون إلى المستقبل السعيد بأعين ملأها آمالا بعيدة، وخططا مرسومة، وهناء موفورا... أية نفس تشاهد هذا وتشاهد آثاره، ونتائجه في كل شيء تقع عليه عينها، أو يتناوله تفكيرها في الأرض، أوفي البحر أو في الجو، ولا يقضي عليها الأسى، ولا تتقطع حسرات حين تلتفت إلى أمتها فتجدها في معزل عن هذه الحياة التي عمت كل ناحية سوى ناحيتها بعيدة عن عز هذا النور"[8].

إن تعلق الشيخ عدون بضرورة الاهتمام بالتعليم، وخدمته، فلكونه ضرورة لا غنى عنها إن على مستوى الحياة الدنيا، أو الآخرة، وأن سعادة الأمة لا يمكن أن تقوم إلا بتحصيل العلم، هو ما صرح به عند حديثه عن حديثه المتكرر عن أهمية العلم قوله: "لأن الغاية من خدمة الأمة وإسعادها لا تدرك إلا بخدمة ركاب العلم، وتهيئة النفوس لتلقيه و الترحيب به، ومادام أكثر هذه الأمة لم يعرف هذه الحقيقة، ولم يأبه لها، ولم يدرك أن هناك أمرا ضروريا للحياة لا تقل حاجته إليه عن حاجته إلى الأكل، والشراب، واستنشاق الهواء بل تزيد عنها أضعافا لأن هذه تتوقف عليها الحياة الفانية، وتلك تتوقف عليها - زيادة على هذه- الحياة الخالدة"[9].

ومن أجل أن يكون التحصيل العلمي مثمرا، ويفضي إلى الإعداد الصحيح للمتعلم، فقد دعا الشيخ عدون التلاميذ إلى الالتزام بمجموعة من المبادئ وهي:

- **أن يكون لهم حضور في مجالس العلم:** من خلال مناقشاتهم، وطرح الآراء لأن ذلك أدعى الوصول إلى الحقيقة العلمية، وهو ما وثقه الرجل في قوله "أيها الطلبة إننا في حاجة ماسة إلى التزود من العلم، والتفاني في تحصيله، وبذل كل جهد عملي، وبدني، فاحرصوا، واجتهدوا، وإلا فما ينفع الأساتذة إذا لم تحسنوا التلقي عنهم، وتحسنوا السؤال، وتحفظوا الجواب، فعلى التلميذ إذا أشكل عليه أمر أن يسال، وفي سؤاله فائدة لنفسه، وزملائه، ولأستاذه والعلم إنما يحصل بالمناقشة بين الطرفين، والحقيقة بنت البحث، وفائدة الطالب جالسا جامدا في القسم كالصنم لا يسال، ولا يعي وجوده ضرر، ومضايقة لغيره[10].

- **المراجعة والمطالعة:** فعلى التلميذ أن يداوم على مراجعة ما تم تحصيله داخل القسم لأنه أدعى لأن يترسخ في الأذهان، وإنما حسنوا المراجعة، والمطالعة طالعوا الكتب التي تدرسونها، وغيرها خاصة كتب اللغة العربية التي تحتاج إلى إحياء، وبعث من جديد"[11].
- **أن يكون التحصيل العلمي لأجل المعرفة بالله:** فهو حسب الشيخ عدون الغاية النهائية من التحصيل العلمي لأنه يراه أساس النجاح، وإذ يؤكد الشيخ عدون على هذا الغاية فإنه يربطها بالجانب العملي بأن لا يكتفي طالب العلم بتحصيل ما يمكّنه من معرفة الله وحسب، بل عليه أن يقرن ذلك بالعمل فيعمل بما جاء به القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة "وعلى كل طالب جاء إلى المعهد أن يعتقد عقيدة راسخة أنه إنما جاء ليعرف الله حق المعرفة، ويؤمن به حق الإيمان، ويعمل من أجل كل عمل صالح.... هذه غايتنا الأولى، والمثلى والقصوى من هذا العلم، معرفة الله، والعمل بما يأمر القرآن وحفظه، وفهمه، والعمل به، السنة المطهرة فهمها، والعمل بمقتضياتها"[12].

وفي هذا المقام أيضا حاول الشيخ عدون تصحيح بعض الاعتقادات الخاطئة لدى بعض الطلاب وهو ضرورة ألا تكون الشهادة هي المغزى من التحصيل العلمي، وهي وإن كانت ذات قيمة في تبوأ المناصب فإنها لا يجب أن تصرف طالب العلم عن الهدف الحقيقي من التعلم وهو معرفة الله تعالى: "ألا فلتعلموا جميعا أيها الطلبة، وخصوصا الذين التحقوا بالمعهد جددا أنكم إنما جئتم لطلب هذه الغاية لا لنيل الشهادات، وإنما الشهادات جواهر في الطريق المرسوم نتوصل بها إلى الحياة العليا في الدنيا - إن كانت في الدنيا حياة عليا- ... إذ الشهادة وسيلة لا غاية، وإنما الغاية معرفة الله حق المعرفة، وعلى المرء كلما ازداد علما أن يزداد إيمانا"[13].

وعلى الرغم من المثبطات التي حاولت الوقوف ضد حركة الإصلاح في المجال التعليمي، وبخاصة من قبل أعداء الإصلاح من الجامدين، فقد أثمرت جهود المخلصين بتأسيس معهد الحياة على يد الشيخ بيوض، وكان الشيخ عدون شريكا عمليا في القيام على شؤون المعهد، وتخرج منه العديد من النخب التي أخذت على عاتقها فيما بعد أمانة الحفاظ على الهوية الجزائرية.

ولعل ما جعل الشيخ عدون ينجح في مجال التربية والتعليم ما ذكره الباحث محمد ناصر بوحجام[14]:

أولا - رغبته الشّديدة في طلب العلم، وملازمته العلماء، واستغلال أوقاته، والفرص المتاحة له للتّعلّم بأيّة وسيلة، وفي أي ظرف، وفي أيّ مكان.. بل هذه الفرص لم تكن متاحة له في مطلع حياته، وكانت الظّروف تسير ضدّ طموحه، وآماله، لكنّه قاومها، وتعامل معها بحكمة ودراية فيهما كثير من التّحدّي، والإصرار للتّغلّب على الأسباب التي كانت تجهد أن تحطّ به في غير محطّة العلم... فكان له ما أراد... فسار في مضمار العلم: تعلّمًا وتعليمًا، فكان منه ما نشهده من منجزات كبيرة في الميدان، وما تركه من آثار تدلّ عليه من بعده.

ثانيا- تحديده هدفه في الحياة، ورسمه غايته من طلب العلم، وتعيينه دروب العمل.. تبعًا لإصراره في البقاء في مضمار العلم... كان الهدف -عنده- مسطّرًا في الذّهن، والنّيّة راسخة في القلب، والمسعى مقنّنًا في الحياة.. الغاية رضوان الله تعالى، والهدف خدمة المجتمع، والمضمار هو مجال التّعليم، لذا بدأ حياته معلّمًا، وأنهاها معلّمًا، بالمفهوم الواسع للتّعليم، وبالمدلول الكبير لحقيقة المعلّم... مرابطته الطويلة في أشرف ميدان، يبني وينشئ أنفسًا وعقولاً، ويؤسّس للحياة الحقيقيّة: دنيا وأخرى. ويقدّم كلّ ما يملك وما أنعم الله به عليه في المجال... كلّ هذا يعطي جوابًا لمن يسأل: كيف نجح الشّيخ في مسيرته الجهاديّة بالتّربيّة والتّعليم

ثالثا- إقبالُه الكبير على التّعلّم، وملازمتُه شيوخَه، ومزاحمتُه العلماء بركبتيه، وإدمانُه على المطالعة، منذ مطلع حياته إلى مختتمها، يطالع الكتب، ويقرأ الجرائد والمجلاّت... عرف عنه أنّه لا يرفع كتابًا إلى رفوف مكتبته حتّى يقرأه، ولا تصل يداه إلى صحيفة حتّى يطوف بكلّ أركانها وأبوابها وموضوعاتها؛ قراءة مركّزة واعيّة. عرف عنه تلاميذه عادته اليوميّة، وهي عدم النّوم قبل قراءة شيء، مهما يكن وقتُ النّوم. فكانوا كلّما

مرّوا بالقرب من منزله في اللّيل رأوا الضّوء منبعثًا من غرفته المطلّة على الشّارع. كان هذا الالتزام بالمطالعة من أسباب تكوّنه وغنى زاده المعرفي، الذي أعانه على أداء وظيفته التّعليميّة والتّربويّة أحسن أداء، وكان - إلى جانب هذا المكسب - قدوةً لتلاميذه في مجال التّحصيل المعرفي القويّ الدّؤوب.

2- موقفه من تعليم الفتاة الجزائرية: يعد تعليم الفتاة الجزائرية من المسائل التي عرفت نقاشا كبيرا في الفترة الاستعمارية، وانقسمت المواقف بين مؤيد، ومعارض لتعليمها لمبررات يعتقدها كل طرف، وقد أدرك رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر أهمية تعليم الفتاة باعتبارها الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، ولا شك حسبهم أن في صلاحها صلاح النشء، وفي فسادها فساده، ولما كان التعليم من أهم الآليات التي تعين على تكوين المرأة الإيجابية الفاعلة، فقد كانت ضرورة تعليمها من أهم الرؤى التي أسس لها رجال الإصلاح في هذا المقام.

وقد كانت شروط النهضة التي اضطلعت بتحقيقها المدرسة الإصلاحية في الجزائر من الدوافع التي استدعت الاهتمام بالمرأة لحمايتها من الثقافة الوافدة، التي استهدفت هدم المجتمع، ولعل المرأة كانت أحد العناصر التي أراد المستعمر أن تكون "وسيلة يذوب على إثرها المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي عن طريق اجتذابها إلى ثقافته الغربية"[15].

وعلى شاكلة المؤيدين لتعليم الفتاة الجزائرية نادى الشيخ سعيد شريفي (عدون) بأن يكون لها نصيب من التعليم شأنها شأن الرجل، ورغم "معارضة فريق عريض من الناس لفكرة الشيخ عدون ومنهم بعض رجال الإصلاح إلا أنه أصر على رأيه واقتنع أنه صواب ورشاد، وبدأ التطبيق منفردا بإدراج بنته في المدرسة، ولم يأبه بقوة المعارضة، ثم استبان للناس رشد ما فعل، فاقتدوا به وعمرت المدارس بالبني والبنات"[16].

يؤكد الشيخ عدون في هذا المقام على ضرورة تلقين العلم الديني للفتاة الجزائرية كأولوية تحفظ لها دينها دون التخلي طبعا عن العلوم الأخرى، وقد أشار إلى ذلك في مقام كلمته التي قدمها في الاجتماع العام مع طالبات متوسطة، وثانوية الحياة في قوله: "جئتن إلى هذه المؤسسة لتتعلمن العلم الديني أولا ثم مختلف العلوم الدنيوية الأخرى، والمهنية، والعلم الدنيوي إذا أردناه لوجه الله كان عبادة لله بشرط العمل بما نتعلم"[17].

إن الشيخ عدون حينما أكد على ضرورة تلقي العلم الديني كأولوية العلوم للفتاة فإنه إلى جانب كونه حصانة للمرأة، فإنه في ذات الوقت يشكل المقصد الأساس الذي يجب أن يعيه المسلم في هذه الحياة، وهو أن العلم الديني هو العلم الذي يربطنا بالله تعالى، ويحقق لنا السعادة الأخروية، والذي يجب أن يظهر في سلوكاتنا، وأخلاقنا في هذه الحياة الدنيا: أيتها البنات الفضليات إنكن لم تخلقن لهذه الحياة الدنيا، وإنما لحياة أخرى دائمة، ولا تعتبر الحياة الدنيا بالحياة الآخرة شيئا، وهذا ما يجب أن يرسخ في القلوب، والعلم الذي يضمن لنا المستقبل الدائم هو علم الله تعالى، ومعرفته حق معرفته، والإيمان به، وبكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكل ما يجب الإيمان به من أصول الدين هذا الذي يجب الإيمان به، والعمل بمقتضاه "يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول..." والحياة التي نستجيبها لله، وللرسول إنما هي الحياة الحقيقية التي نعيشها في الآخرة، وذلك بسلوكنا، وخلقنا، ومعرفة الله حق المعرفة خالقا مدبرا حكيما محييا مميتا"[18].

إن الفتاة إذا أخذت العلم النافع القائم على أساس الدين، وأحسنت تعليمه حسب الشيخ عدون سيكون له آثاره الإيجابية، ذلك أنه سينعكس على بيتها، وعلى تربية أبنائها تربية صالحة قائمة على الأخلاق النبيلة، وفي دورهم الإيجابي نحو مجتمعهم "فخدمة البنت في دارها عبادة، عملها في المجتمع عبادة إذا كانت أحسنت التعلم، وأحسنت التعليم، وأنها متى تتزوج تأتي بأولاد ذوي أخلاق وإدراك يكونون من عمار الحياة السعيدة الفاضلة، يقومون بواجبهم في المجتمع، حتى إذا قيل ممن الرجال؟ فيقال من بنات تعلمن في مدرسة الحياة، فالأم إذا قامت بواجبها فلأن مدرسة الحياة قامت بواجبها"[19].

إن هذا التوجه من الشيخ عدون نحو تعليم الفتاة الجزائرية نابع من الدور الهام الذي تقوم به في بناء المجتمع، وتربية النشء لأن تحصينها بالعلم الديني هو حصانة للبيت، وللمجتمع بأكمله، وأن قيامه السليم إنما يقوم عليها بالأساس "أيتها البنات العزيزات ويا نساء المستقبل إن هذا المجتمع لا يقوم إلا عليكن نعم هو يقوم على جناحين على الرجل، والمرأة، ولكن على المرأة أكثر"[20].

وحتى يأتي تعليم الفتاة ثماره على أرض الواقع فقد ناشد الشيخ عدون الطالبات بضرورة استثمار كل ما من شأنه المساعدة على التحصيل العلمي بضرورة الانضباط بالنظام المدرسي على مستوى أداء الواجبات المدرسية، وعدم التخلف عن أوقات الدراسة، والاستماع وقت الدرس، والاستزادة من كل معلومة فيها فائدة في التحصيل العلمي "حافظن على الواجبات المدرسية، وعلى أوقات الدراسة ... ولنستثمره، ونربحه، ونعمل كل عملنا بجدية للتحصيل، ولتتفتق القوب، ولننكب على المطالعة، والمدارسة... لا تضيعن الوقت في القيل، والقال ركزن في الاستماع وقت التحصيل لا تخن أوقاتكن بالالتفات، وعدم الإصغاء، ثم قمن بواجبكن لا بالإكثار من المعلومات، وإنما باستعمالها فيما يصلح، ويصلح"[21].

3- موقفه من الأمراض الاجتماعية: عانى المجتمع الجزائري من العديد من الأمراض، والآفات الاجتماعية التي ساهمت إلى حد كبير في تخلف المجتمع، وركونه إلى القابلية للاستعمار، وكادت بسببها أن تعصف بقيم المجتمع، وقد انبرى رجال الإصلاح لتشخيص هذه الأمراض في محاولة لإيجاد الحلول بشأنها، واستعادة الوعي للعقل الجزائري بضرورة التخلي عنها لأنها من المهلكات، ومن بين الأمراض التي تعرض لها الشيخ عدون قضية اليأس والذي يعد أحد عوامل موت الروح، والجسد معا، ولمخاطره على الفرد، والمجتمع راح الشيخ عدون يشخص أسباب انتشار هذه الآفة حيث ردها بالأساس إلى ضعف الإيمان بالله تعالى، كما اعتبر أن عدم التدبر في سنن الله تعالى في الكون، وغياب التفكير الصحيح كلها عوامل ساهمت في تمكن هذه الخصيصة في نفوس بعض البشر، وهو ما يؤكده في قوله "إن الإياس مرض فتاك تتولد جراثيمه في النفوس المظلمة التي لم تشرق عليها شمس الإيمان بالله، وبسننه في الكون ولم تتألق في سمائها نجوم الدعاة، والمرشدين من رجال التاريخ، وعظمائه الذين وضعوا لنا بسيرتهم، وحياتهم معالم الاهتداء في بيداء الحياة، ولم يرتفع بين جوانبها منار التفكير الصحيح، والرأي الأصيل الذي يشق بين الظلام المدلهم سبيلا رشدا"[22].

إن الذي حدا بالشيخ عدون إلى تناول هذه الآفة هي تلك الآثار السلبية التي إذا تمكنت من الفرد أقعدته عن أداء وظيفته في الحياة وشوهت صورته، وقد ساهم هذا الواقع في عرقلة الإصلاح، وإخفاق المشاريع الخيرية التي يقوم بها رجال الإصلاح "هو الإياس المهلك إذا حل بالنفس أورثها الخوف، والجبن، والهلع، والبخل واللؤم، والكسل، والبطالة إلى غير ذلك من عيوب النفس، ورذائلها، وتكفي واحدة منها للقضاء على كرامة الإنسان فكيف بها مجتمعة"[23].

إن التخلص من هذه الآفة الفتاكة حسب الشيخ عدون لن يتأتى إلا باستعادة الإيمان بالله تعالى، وتقويته، والنظر في حال الأمم، والحضارات، ولا أدل على ذلك من الحضارة الإسلامية التي أعطت خير مثال حينما قامت على قوة الإيمان بالله تعالى فصارت أقوى الأمم، وأعلاها شأنها "ولا سبيل لعلاج هذا المرض المنتشر بيننا، والمتمكن في كثير من النفوس إلا بتقوية الإيمان فيها، وترديد النظر في الأمم الغابرة، والحاضرة، ودرس حياتها، أطوارها، وتقلباتها، والمثل الأعلى هنا هو الأمة الإسلامية التي أعطت للأمم الضعيفة المنحطة أعظم الدروس في تاريخ النهضات، والانقلابات الخطيرة، وأرتهم كيف يصر العبد سيدا، والمملوك مالكا، والقوي ضعيفا، والمنحط راقيا، وعلمتهم كيف يكون الإنسان عزيزا أبيا كاملا في إنسانيته قويا في رجولته كريما في نفسه.... فإذا استطعنا القضاء على هذه العلة، والتخلص منها استطعنا حينئذ القضاء على جميع الأمراض، وإبادة جميع الآفات"[24].

ومن الآفات القاتلة التي تطرق إليها الشيخ عدون آفة الرياء، وهو من الأمراض النفسية التي شاعت بين الكثير من الناس، وهي مدخل لفساد الأعمال التي من المفترض أن تكون خالصة لوجه الله خاصة في تلك التي تتعلق بالمشاريع الخيرية التي تخدم المجتمع الجزائري، وقد أوضح الشيخ عدون ذلك في قوله: "نرجو أن نحيى جميعا هذه الحياة لتصفو القلوب من الأدران، والأعمال من الرياء، وحب المحمدة، وحب التقدم بغير حق، و سبب، وغير ذلك من المثالب التي تذهب بالمشاريع، و تقضي عليها ما أكثر المشاريع التي كنت قائمة، وظاهرة قضى عليها الرياء، وحب المحمدة، وحب الزلفى، وما قام مشروع، وسقط إلا وسببه الرياء، وعدم الإخلاص لله... والدين غير الخالص هو الذي يشاركه الرياء، وحب المحمدة، وهما السوس الذي يأكل المخزن"[25].

ومن الآفات الاجتماعية التي حاربها الشيخ عدون أيضا ظاهرة تهرب بعض الأغنياء من مساعدة الفقراء، والمشاريع الخيرية فأمثال هؤلاء حسب الشيخ عدون إن لم يكن أثر غناهم باديا في مساعدة الفقير والمشاريع الخيرية فإنهم غير جديرين بالاحترام، ولا مكانة لهم بين الأخيار "ونقف من الغني مثل هذا الموقف فإن وجدنا في ماله حق معلوم للسائل، والمحروم، وللنائبات النازلة على الأمة، وللمشاريع الخيرية كان جديرا باحترامنا حريا بكل احترام، وتقدير، واعتبار، وإن لم نجد له أثرا في كل ذلك، وكان بماله شحيحا يكنزه، ولا ينفقه في سبيل الله كان كمرمى احتقار، وازدراء"[26].

خاتمة:

تناولت هذه الورقة البحثية أحد الشخصيات الإصلاحية في وادي ميزاب، ويتعلق الأمر بالشيخ سعيد شريفي، وقد تبين لنا من استقراء محطات حياته، ومواقفه إزاء بعض القضايا المطروحة آنذاك ثبات الرجل على مبادئه، وأصالة مواقفه التي استمدها من المرجعية الدينية للمجتمع الجزائري، ويمكن إبرازها في النقاط الآتية:

- أكد الشيخ سعيد شريفي أن التعليم هو أساس أي نهضة، وأن رقي الأمم إنما يتوقف على مدى اهتمامها بالتعليم.
- أشار البحث إلى أن الشيخ عدون كان من أعلام الإصلاح الداعية إلى تعليم الفتاة الجزائرية لأنها الدعامة الأساسية لبناء جيل متخلق بالأخلاق النبيلة.
- أكد البحث أن الشيخ عدون كان من مناصري اللغة العربية، فقد عدها أصل التواصل باعتبارها لغة القرآن الكريم.
- حارب الشيخ عدون العديد من الأمراض، والآفات الاجتماعية مثل الرياء، واليأس، والشح عدها من العوامل المعيقة للتقدم.

وتوصي هذه الورقة البحثية بما يلي:

- إجراء دراسات معمقة حول شخصية شريفي سعيد باعتباره واحدا من القامات الإصلاحية في وادي ميزاب.
- تضمين هذه الشخصية ضمن المقررات الجامعية التي تتناول الشخصيات الإصلاحية.
- الاستفادة من آراء سعيد شريفي الإصلاحية في الإصلاح التربوي.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1947م.

المجلات والجرائد:

- سعيد، حول التعليم ها هو موسم الدراسة على الأبواب فماذا أعددنا له؟، جريدة الأمة، ع90، 1936/9/15.
- سعيد، من أمراضنا الاجتماعية؛ آفة الاياس الفتاكة كيف السبيل لتطهير مجتمعنا منها، جريدة الأمة، ع89، 1936/9/8.
- سعيد، إنما الرجال بأعمالهم لا بما يملكون من وسائل العمل، جريدة الأمة، ع96، 1936/10/27.
- عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، "آخر ما قاله الشيخ عدون"، مجلة الحياة، جمعية التراث، القرارة، ع10، أكتوبر 2006م.
- محمد بن صالح ناصر، الشيخ عدون في سطور، مجلة الحياة، جمعية التراث، القرارة، ع10، أكتوبر 2006م.
- مصطفى بن صالح باجو، الشيخ سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون) في الخالدين، مجلة الحياة، جمعية التراث، القرارة، ع10، أكتوبر 2006.

الإنترنت:

- دون اسم المؤلف، الشيخ عدّون رقم ثقيل في الوطنية الجزائرية لمن لا يعرفه، https://www.startimes.com/، تاريخ الدخول: 2022/4/23.

- محمد ناصر بوحجام، الشيخ في مسيرة الشّيخ عدّون التّربويّة قواعد في بناء الفرد والمجتمع، موقع: https://www.worldofculture2020.com/، تاريخ النشر: 2009/7/8، تاريخ النشر: 2020/5/12، تاريخ الدخول: 2022/5/12.
- محمد ناصر بوحجام، عوامل نجاح الشّيخ عدون في حياته، موقع: https://binbadis.net/، تاريخ النشر: د ت ن، تاريخ الدخول: 2022/3/15.
- مزاب ميديا، الشيخ سعيد شريفي (عدون)، موقع: https://www.atmzab.net/، تاريخ النشر: دون تاريخ، تاريخ الدخول: 2022/4/12.

الهوامش:

[1]- محمد بن صالح ناص، الشيخ عدون في سطو، مجلة الحياة، جمعية التراث، القرارة، ع10، أكتوبر 2006م، ص183.

[2]- مزاب ميديا، الشيخ سعيد شريفي (عدون)، موقع: https://www.atmzab.net/، تاريخ النشر: د. ت، تاريخ الدخول: 2022/4/12.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- محمد ناصر بوحجام، الشيخ، في مسيرة الشّيخ عدّون التّربويّة قواعد في بناء الفرد والمجتمع، موقع: https://www.worldofculture2020.com/، تاريخ النشر:5/12 /2020، تاريخ الدخول: 2022/5/12.

[5]- أنظر محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1983، الصفحات: 405- 411- 422-425.

[6]- سعيد شريفي، معهد الحياة: نشأته وتطوره، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1989م، ص11.

[7]- دون اسم المؤلف، الشيخ عدّون رقم ثقيل في الوطنية الجزائرية ... لمن لا يعرفه، https://www.startimes.com/، تاريخ النشر: 2009/7/8، تاريخ النشر: 2020/5/12، تاريخ الدخول: 2022/5/12.

[8]- سعيد، حول التعليم ها هو موسم الدراسة على الأبواب فماذا أعددنا له؟، جريدة الأمة، ع90، 1936/9/15.

[9]- نفس المصدر والعدد.

[10]- عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، آخر ما قاله الشيخ عدون، مجلة الحياة، جمعية التراث، القرارة، ع10، أكتوبر 2006م، ص224.

[11]- نفس المرجع والصفحة.

[12]- المرجع نفسه، ص221.

[13]- المرجع نفسه، ص221-224.

[14]- محمد ناصر بوحجام، عوامل نجاح الشّيخ عدون في حياته، موقع: https://binbadis.net /، تاريخ النشر: د.ت.ن، تاريخ الدخول: 2022/3/15.

[15]- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1947م، ص237.

[16]- مصطفى بن صالح باج، الشيخ سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون) في الخالدين، مجلة الحياة، جمعية التراث، القرارة، أكتوبر 2006، ص244.

[17]- عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، مرجع سابق، ص 228.

[18]- المرجع نفسه، ص 227-228.

[19]- المرجع نفسه، ص 229.

[20]- نفس المرجع والصفحة.

[21]- نفس المرجع والصفحة.

[22]- سعيد، من أمراضنا الاجتماعية؛ آفة الاياس الفتاكة كيف السبيل لتطهير مجتمعنا منها، جريدة الأمة، ع89، 1936/9/8.

[23]- نفس المصدر والعدد.

[24]- نفس المصدر والعدد.

[25]- عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، مرجع سابق، ص 223.

[26]- سعيد، إنما الرجال بأعمالهم لا بما يملكون من وسائل العمل، جريدة الأمة، ع96، 1936/10/27.